

الأزمئة والأمكنة

بقلم:
الدكتور
يعقوب
يوسف
الغبير



● خريطة بما جزء من العدان

لمحات عن العدان



● الشيخ حمد الجاسر وكاتب المقال

تتجه من الشرق إلى الغرب فهي ليست قبوراً إسلامية، وتوجد على بقعة مرتفعة مساحتها حوالي مئة قدم مربع، وهذه التوابيت مصنوعة من الاسمنت الجبسي «الجص» ويبلغ طولها خمسة أقدام وعرضها قدم وثمانية بوصات، وعمقها قدما، أما سمك جوانب التابوت فهي حوالي أربع بوصات، وقد وجدت مدفونة على عمق يتراوح بين ثلاثة وأربعة أقدام تحت الأرض، ومغطاة بعدد من الحجارة ذات الأشكال المختلفة التي يبلغ حجم الواحدة منها قدمين مكعبين، ولا توجد على هذه التوابيت أو الحجارة أية نقوش.

هذا ما قاله عن الآثار، وبعد أن قدم جدولاً يبين الأماكن الواقعة على العدان في كل موضع من هذه المواضع كل على حدة، أردف ذلك بحديثين عن مدلول كلمة العدان جغرافياً حيث يقول: «ويقصد بكلمة العدان عند استعمالها في البحرين أو الاحساء جميع المنطقة الصحراوية الممتدة على الساحل بين واحة القطيف والكويت»، ثم ينطلق متحدثاً عن بر العدان فيقول: «بر العدان لفظ يطلقه البحارة أحياناً على كل المنطقة الساحلية الواقعة بين بلدي الكويت والقطيف في شرق شبه الجزيرة العربية، ويبدو أن البدو لا علم لهم بمثل هذه التسمية، ولا يعني لفظ «عدان» بالنسبة لهؤلاء البدو، ولسكان إمارة الكويت كذلك سوى المنطقة الصغيرة القريبة من بلدة الكويت والتي تعرضنا لها في التقديم تحت اسم العدان».

إذن فالعدان يطلق ويراد به المنطقة الواقعة على ساحل الخليج العربي شرقي الكويت ضمن حدود البلاد وكذلك الشريط البري المقابل لهذا الساحل بمسافة ما بين عشرة إلى عشرين ميلاً إلى الغرب، ويطلق عند أبناء شرقي الجزيرة العربية على منطقة تصل طولاً إلى القطيف في شرق المملكة العربية السعودية.

ومن الغريب أنه قدم هذه الأوصاف الثلاثة لمنطقة العدان دون أن يؤكد على وصف معين منها، فكل ما فعله هو نقل الأقوال المتداولة على السنة الناس في الكويت والبحرين وشرقي المملكة العربية السعودية، وإذا أردنا أن نستنتج شيئاً من أقواله، فإنه ربما كان يؤيد الرأي الأول وهو القائل بأن العدان يقع على ساحل الكويت ويمتد إلى الغرب قليلاً، ولذلك رأيناه يُفَضَّل القول في هذا التحديد ويورد أسماء المواقع مما يؤكد اهتمامه بالاشارة إلى أن هذا هو العدان، وأن كان قد ذكر الأقوال الأخرى.

أما هارولد دبسون، فقد اقترب كثيراً من وصف لوريمر لمنطقة العدان مما يرجح اعتماده على هذا الأخير فيما كتب، ولكنه تحدث بوضوح عن منطقة واسعة تضم الجهة الساحلية، والجهة العليا الغربية التي تكون تلال الظهر الجزء الأكبر منها، ويرجع توسعه في الحديث عن المنطقة إلى إقامته في الكويت، وعلاقاته القوية مع عدد من أبناء البلاد الذين أمدوه بكثير من المعلومات المهمة عن المنطقة، يقول:

«وتقع على زاويتي عدان الشمالية الغربية والجنوبية الغربية تلة المعدينيات «المعدنيات» وأبار الصبجيحة على التوالي، ويظهر أن عرض المنطقة من البحر إلى الداخل يتراوح بين عشرة أميال وعشرين ميلاً، ومقابل البحر تمتد (عدان) إلى الشمال أكثر من المقوع، وتضم القرى التالية: فينيطيس، فطاس، أبوحليفة، فحيجيل، وشعبية. وهذه القرى مجتمعة تعرف باسم القصور، وإلى الجهة الشرقية من عدان توجد سلسلة مرتفعة تشرف على البحر اسمها ظهر العدان، حيث تقع مدينة النفط الجديدة: الأحمدية، وهناك توجد الخزانات التي يُصَخَّر إليها النفط من أبار المقوع وبرقان قبل

31#

وفي كلام صاحب لمع الشهاب كثير من التخليل، ففي عهده كانت الفحجيل والفتاس وأبوحليفة والشعبية من المناطق الأهلة بالسكان، وكان لسكانها مشاركة في شؤون الحياة الكويتية، بما في ذلك القيام برحلات صيد اللؤلؤ باعتبارهم يعيشون على ساحل البحر، ومدنهم تشكل موانئ طبيعية لإيواء السفن، وفي هذه المنطقة التي أشار إليها الريكي، وإسيما في الفنتاس، حياة ثقافية وفنية متميزة في حدود الامكانات المتوافرة آنذاك، وقد برز فيهم شعراء وفنانون لم يكونوا ليبرزوا لولا الاستقرار الدائم والحياة الحافلة بالنشاط في موقعهم ذلك.

كذلك نلاحظ عدم اهتمامه بضبط المسافات حين يقول عن الظهران أنه قريب من القطيف على أربعة فراسخ، أو يقول أن الفنتاس والفينيطيس جنوب الكويت على مسافة يوم جهة الجنوب فهو تارة يقيس المسافة بالفرسخ وأخرى باليوم.

وتحدث ج. ح. لوريمر عن العدان قائلاً: العدان: إحدى مقاطعات إمارة الكويت، تحيط بها مقاطعة القرعة في الشمال، ومقاطعة الشق في الغرب، ومقاطعة السلوع «SALU» في الجنوب، ويحدها البحر من الشرق، وتقول بعض المراجع أن منطقة العدان تشمل مقاطعة القرعة، فإذا اعتبرناهما مقاطعتين منفصلتين نستطيع القول إن العدان تبدأ بعد 16 ميلاً جنوب بلدة الكويت، وذلك مباشرة بعد ملح التي تقع في مقاطعة القرعة، وتمتد العدان مسافة 22 ميلاً حتى ربوة القرنين حيث تلتقي بحدود مقاطعة السلوع وتوجد في الطرف الشمالي الغربي والطرف الجنوبي الغربي للعدان على التوالي: قرية المعدينيات «المعدنيات» وقرية الصبجيحة»، ويتضح من هذا أن عرض المقاطعة من البحر إلى الداخل يتراوح بين عشرة وعشرين ميلاً، وتمتد العدان على الشاطئ إلى ما بعد ملح «الملح» وتشمل الفينيطيس، ويتكون العدان من سهل رملي لير، ولكنه مرتفع على صورة ربوة، والوقود قليل جداً، ويكاد يكون غيب الشمام الرديء هو المحصول الوحيد النافع».

وفي حديثه هذا يتضح لنا أنه يرى أن المنطقة المهمة من العدان هي التي تسمى الظهر والتي تمتد كما أوضح من ملح شمالاً حتى مسافة 20 ميلاً جنوباً وأنه وإن كان قد ذكر عرض العدان من البحر إلى الداخل غرباً وحده بمسافة تتراوح بين عشرة أميال وعشرين ميلاً إلا أنه كان يركز حديثه على المنطقة التي تسمى بر العدان، ولذلك ذكر المعدينيات والصبجيحة، بالإضافة إلى أنه ذكر من العدان ثلاثة وثلاثين موقعاً منها عشرة مواقع فقط تقع على الساحل أو قريبة منه، وتبدأ من منطقة الفينيطيس، وهذا يدل على أنه استقى معلوماته من واحد أو أكثر من رجال البداية الذين يطلقون اسم العدان عندهم على المنطقة العليا التي أشار إليها لوريمر كما سوف يأتي.

ومن الملاحظ أنه ذكر المعدينيات والصبجيحة على أنهما كانتا قرئتين، ويبدو أنهما كانتا كذلك في ذلك الوقت باعتبار إطلاق الاسم على موضع أوسع من موضعه الحالي، كما يلاحظ توسعه في استعمال اسم القرعة حتى أوصلها إلى مدينة الكويت.

وحيث تحدث لوريمر عن بر العدان لم ينس الحديث عن الآثار التي وجدت في هذا الشريط الطويل الذي يبلغ عرضه من عشرة إلى عشرين ميلاً على حسب قوله المشار إليه آنفاً، وما هو يقدم حديثه عن هذه الآثار قائلاً: «توجد بمقاطعة عدان البقايا الأثرية من بعض النواويس «التوابيت» الجيرية التي عثر عليها في مكان يبعد ستة أميال عن تل وارة، ويقع تل وارة على زاوية قدرها 258 درجة، ولما كانت هذه القبور

زيد مائة بن تميم، وهو كذلك قريب من وارة. أما إطلاق اسم العدان على كل ساحل فإنه قد يكون نوعاً من التعميم لهذا الاسم بعد اشتهاره في فترة من الزمن، وهذا أمر غير مستبعد، وله شواهد كثيرة.

ويبدو من قول نصر الذي نقله عنه ياقوت أن اسم العدان كان يطلق على المنطقة التي تبدأ من طرف جون الكويت غربي البلاد، ثم تطوف بالساحل إلى أن تخرج إلى الخليج ممتدة حتى خارج حدود الكويت الجنوبية، إذ إن منازل بني سعد المشار إليها كانت تمتد حتى يبرين في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية، ويبدأ يكون الموضع أوسع شمالاً وجنوباً مما هو معروف في الوقت الحاضر.

وهذا القول أيضاً جائز إذ إن من الممكن انحسار اسم من أسماء الأماكن من موضع واسع إلى موضع أصغر مع مضي الزمن كما حصل في موضع كاظمة وغيرها حيث نجد الاسم قد انحسر من منطقة واسعة إلى منطقة أقل منها.

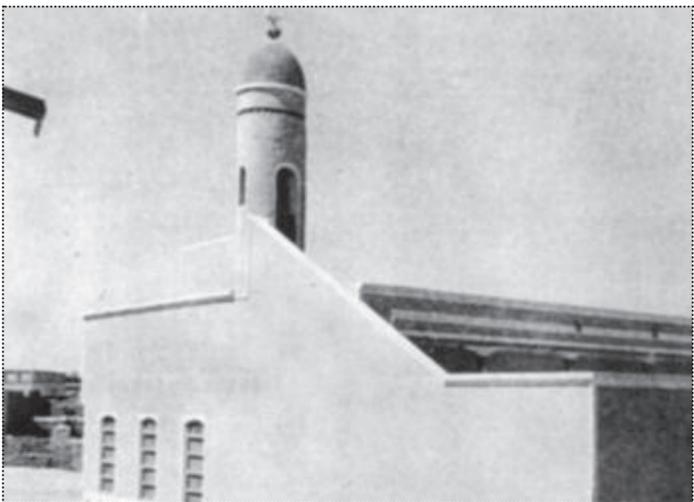
وهذا هو سر الاختلاف في تحديد موقع العدان كما سيتضح لاحقاً، والحق أننا نجد اليوم من يطلق الاسم على منطقة أبعد من حدود الكويت بحيث تصل إلى القطيف على الساحل السعودي من الخليج، وفي هذا يقول العلامة حمد الجاسر: «تطلق الكلمة لغة على ساحل البحر والنهر، ثم أصبحت علماً لأرض واسعة تمتد على ساحل البحر من شمال القطيف حتى ساحل الكويت (سيف كاظمة قديماً) على اختلاف في تحديد طول العدان بين أهل عصرنا».

ثم تنتقل إلى مرجع آخر فنقول:

في كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب يقول جمال الدين الريكي: «لا يخفى على السامع أنه من الكويت إلى الظهران، وهو موضع قريب من القطيف على أربعة فراسخ من جانب الشمال - وهو اليوم خراب - هذه الأرض يقال لها العدان، وليس فيها بلدان مسكونة، بل بعض المواضع تسكنها في الصيف عرب بني خالد مثل العماير والصبج، وهي: الفنتاس وفنيطيس جنوب الكويت مسافة يوم من جهة الجنوب».



● جبل واره



● مسجد الشعبية الذي بني في سنة 1950م



● هارولن دبسون



● خريطة قديمة فيما ذكر العدان

العدان موقع واسع من المواقع الكويتية المعروفة، وقد نال شهرته الأكبر في أيام الغوص على اللؤلؤ قديماً، ثم إن له جانبين: جانباً بحرياً وجانباً برياً، والجانب البري هو الذي يقع بالقرب من ساحل البحر، وهنا نريد أن نتحدث عن هذا الموقع بقدر ما يمدنا به العلم عنه.

وقبل أن نبدأ حديثنا هذا فإن من المهم أن نشير إلى أننا نشاهد في الكويت منطقة سكنية محدودة اسمها العدان ضمن محافظة مبارك الكبير، ولكنها وإن كانت في موقع العدان القديم فهي جزء يسير من ذلك الموقع. يطلق هذا الاسم في الكويت على المنطقة الممتدة من رأس الأرض وهو في الطريق الشرقي الذي يمثل زاوية على البحر من السالمية، ويمتد إلى الحدود الجنوبية وذلك على امتداد الساحل، ويرى البعض أن ما يطلق عليه اسم العدان يمتد من البحر إلى البر حتى مسافة عشرة إلى عشرين ميلاً من حد الساحل بامتداد يبدأ من موقع ملح غرباً إلى القرنين الجنوبي شرقاً.

هذا والعدان القديم يطلق على منطقة واسعة كما رأينا فمئة جزء في محافظة مبارك الكبير وآخر في محافظة الاحمدية وغيره في محافظة حولي.

ومما يذكر أن للعدان ذكراً في التاريخ العربي، كما أن اسمه يتردد أحياناً في قصائد بعض الشعراء الأوائل، وإذا أردنا أن نعرف مصداق ذلك فهذا بيان به: يقول ابن منظور في كتابه «لسان العرب، مادة «عدن» عن هذا الموقع» والعدان موضع كل ساحل، وقيل: عدان البحر - بالفتح - ساحله، قال يزيد بن الصعق:

جَلْبُن الخيل من تثليلت حتى
وردن على أورة فالعدان

والعدان: ارض بعينها.
وهنا نرى العدان وهو قريب من وارة التل المعروف في الكويت، علماً أن هذا البيت قد ورد في شعر للشاعر النابغة الجعدي ضمن قصيدة له مطلعها:

فمن يك سائلاً عني فاني

من الفتيان في عام الخنان
ويقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان نقلاً عن نصر بن عبد الرحمن الأستدري: «عدان: موضع في